

التَّارِيخُ: ٤ نوفمبر ٢٠٢٢ م - ٩ ربيع الآخر ١٤٤٤ هـ.

المَوْضُوعُ: صِفَاتُ الْمُتَنَافِقِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: إِنَّ الْمُتَنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُتَنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَوْهَا: إِذَا أَوْثَمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ عَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ."^١

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْكِرَامُ!

المنافق في اللغة: صِفَةٌ مُشْتَقَّةٌ مِنَ النِّفَاقِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى "الظُّهُورُ بِشَكْلِ مُخْتَلِفٍ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ". وَفِي الشَّرْحِ: أَنْ يُظْهِرَ الشَّخْصُ إِيمَانَهُ وَيَكْتُمُ كُفْرَهُ أَوْ يَتَرَدَّدَ بَيْنَ الإِيمَانِ وَالْكَفْرِ". وَبِإِعْتِبَارِهِ أَمْرٌ يُضَرُّ بِالصِّدْقِ وَيُقَوِّضُ الشُّعُورَ بِالثِّقَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ فَالنِّفَاقُ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ. لَقَدْ أُعْتِبِرَ النِّفَاقُ مِنْ طَرَفِ رَبِّنَا وَرَسُولِنَا خَطِيرًا لِلغَايَةِ، وَبِمَا أَنَّ النِّفَاقَ مُشْكِلاً دِينِيًّا وَأَخْلَاقِيًّا فِي أَنْ وَاحِدٍ، فَهُوَ مُدَانٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ.

وَكَانَتْ صُورَةُ الْمُتَنَافِقِ الَّتِي نَزَّلَهَا الْقُرْآنُ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: هُمُ الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ خِدَاعَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِقَوْلِهِمْ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، وَالَّذِينَ يَتَصَرَّفُونَ بِنِفَاقٍ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، وَالَّذِينَ هُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ،^٢ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، وَالَّذِينَ يَقِفُونَ مَعَ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ عِنْدَمَا يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِمَصَالِحِهِمْ،^٣ وَالَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ،

تَسُوا اللَّهُ فَتَسِيهِمْ.^٤

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ!

كَذَا اجْتَنَبَ الرَّسُولُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَيِّ سُلُوكٍ يُعْتَبَرُ عَلَامَةً عَلَى التَّفَاقِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَتَسَبَّبَ فِي إِثْمِهِمْ بِالنِّفَاقِ. لِأَنَّ الْمُسْلِمَ إِنْسَانٌ فَرِيدٌ فِي جَوْهَرِهِ، كَمَا حَدَّدَهُ نَبِيُّنَا، " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ".^٥ الْخِيَانَةُ، وَالْكَذِبُ، وَعَدَمُ الْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ، وَالنِّفَاقُ، وَالرِّيَاءُ كُلُّهَا أَعْمَالُ التَّفَاقِ غَيْرُ أَخْلَاقِيَّةٍ تُقَوِّضُ ثِقَةَ الْمُجْتَمَعِ. إِنَّ هَذِهِ الْخِصَائِصَ الْمُخَصَّصَةَ لِلْمُنَافِقِينَ غَيْرِ الْمُخْلِصِينَ مِنْ حَيْثُ الإِيمَانِ تُرَى فِي الْمُسْلِمِينَ أَحْيَانًا، تَخْلُقُ مُشْكِلاً مِنْ حَيْثُ الإِنْعَاسِ الْخَارِجِي لِلِإِيمَانِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ مَا يُنَاسِبُ الْمُسْلِمَ هُوَ التَّصَرُّفُ بِصُورَةٍ مُنَاسِبَةٍ لِلْقِيَمِ الَّتِي يُؤْمِنُ بِهَا.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْكِرَامُ!

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ حَظْرِهِ بِشَكْلِ صَارِمٍ إِلَّا أَنَّ التَّفَاقَ ظَاهِرَةً مُسْتَمِرَّةً حَتَّى الْيَوْمِ. هُنَاكَ أَنَاسٌ فِي الْمُجْتَمَعِ يَتَصَرَّفُونَ بِطَرِيقَةٍ رُفِيَّةٍ رَغْمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ وَيَخْدَعُونَ النَّاسَ بِإِخْفَاءِ نَوَايَاهُمْ الْحَقِيقِيَّةِ لِمَصَالِحٍ مُخْتَلِفَةٍ. نَتِيجَةً لِإِنْعَاسِ عَدَمِ الإِخْلَاصِ فِي الإِيمَانِ عَلَى السُّلُوكِيَّاتِ، تَنْتَشِرُ السُّلُوكِيَّاتُ لَا أَخْلَاقِيَّةً وَتُضَيِّحُ غَيْرَ مُسْتَحَقَّةٍ بِالتَّدْرِيجِ. وَمَعَ ذَلِكَ " الدِّينُ النَّصِيحَةُ".^٦ مَا يَلِيْقُ بِالْإِنْسَانِ الصَّادِقِ فِي إِيمَانِهِ هُوَ أَنْ يَنْعَكِسَ بِصِدْقِ الإِيمَانِ الرَّاسِخِ فِي قَلْبِهِ فِي عِلَاقَتِهِ بِاللَّهِ وَالنَّاسِ. يَعْنِي الْمَسْئُولِيَّةَ الثَّقِيلَةَ الَّتِي حَمَلَهَا رَبُّنَا عَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ فِي غِيَابِ رَسُولِهِ، وَلَكِنَّ أَجْرَهَا عَظِيمٌ جَدًّا، هِيَ الْوَفَاءُ بِمَسْئُولِيَّةِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ "فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ".^٧

الْوَقْفُ الإِسْلَامِيُّ الْهُولَنْدِيُّ

^١ سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٦٧/٩

^٢ نَسَائِي، إِيمَان، ٨.

^٣ مُسْلِم، إِيمَان، ٩٥.

^٤ سُورَةُ هُود، ١١٢/١١.

^١ سُورَةُ النِّسَاءِ، ١٤٥/٤.

^٢ الْبُخَارِيُّ، إِيمَان، ٢٤، مُسْلِم، إِيمَان، ١٠٦.

^٣ سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٢٠٠-٨٢.

^٤ سُورَةُ مُحَمَّد، ١٦/٤٦.

^٥ سُورَةُ التَّوْبَةِ: ١٢/٩.